



عضو أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة

غربة الأسر واغتراب الأسير في شعر ما قبل الإسلام

الأستاذة

سعدية حسين البرغثي

جامعة قاريونس - ليبيا

دارت لفظتا الاغتراب والغربة في الشعر الجاهلي دوراً واسعاً وأوجدتا لهما

مساحة عريضة في شعر الأسر .

إن الاغتراب أحد الظواهر التي عانى منها الأسير في العصر الجاهلي ،
وصورها الشعراء خلال تجاربهم الإبداعية ومما عمق غربتهم ما عانوه في الأسر
فاختلفت غربة كل منهم بحسب الواقع الذي يعاينه في أسره . وخلال ذلك ظهر
في نتاج بعض الشعراء الاغتراب الإبداعي وذلك حين ينفصل الشاعر عما كان
قد أبدعه من نتاج شعري قبل الأسر في فترة سابقة من حياته ، وما يجده في أسره
من غربة جعلته يسلك اتجاهًا جديدًا يصور معاناة الأسر وما يعاينه في شعره .
فغربة الشاعر الزمانية والمكانية تلهب مشاعره وتؤجج عواطفه .

يحتوي هذا البحث على تمهيد عن مفهوم الغربة والاغتراب والحنين ،

وثلاثة مباحث : تناول البحث الأول :

— الأسر لغة . — الأسر في الشعر الجاهلي . — تعريف السبي لغة .

— وتطرق البحث الثاني إلى :

— الفخر بأسر الرجال وسبي النساء — الفخر بحماية النساء .

— موقف المهزوم ومعاناته . — تعيير الأعداء .

— أما البحث الثالث ، فقد تناول :

— موقف المرأة من السبي والأسر . — غربة الأسر ومعاناة الأسير .

— دور الشعراء في إطلاق سراح الأسرى . — غربة الأسير .

التمهيد : الغربة لغة ^(١) :

^١ — لسان العرب : ابن منظور ، مادة (غَرَبَ) .

ورد في لسان العرب : الغرب : الذهاب والتنحي عن الناس وقد غَرَبَ
عنا يَغْرُبُ غَرْباً ، وَغَرَّبَ ، أَغْرَبَ ، وَغَرَّبَهُ : نَحَّاهُ وفي الحديث ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أمر
بتغريب الزَّانِي سنة إذا لم يحصن وهو نفيه عن بلده ^(١) .

والغُرْبَةُ والغَرْبُ : التَّوَيُّ والبعد وقد تَغَرَّبَ ، ونوى غُرْبَةً بعيدة وغربة
النوى : بعدها ، النوى المكان الذي تنوي أن تأتيه في سفرك ، ودارهم غَرْبَةٌ :
نائية وأغرب القوم : آتَوَوْا وَغَرَبَ : أي بعد ، والتَّغَرَّبُ : البعد والغُرْبَةُ
والغَرْبُ : التَّزُوح عن الوطن والاعتراق ، قال المتلمس ^(٢) :

أَلَا أَبْلِغَا أَفْنَاءَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ رِسَالَةَ مَنْ قَدْ صَارَ فِي الْغُرْبِ جَانِبُهُ
كَذَلِكَ نَقُولُ : تَغَرَّبَ وَاعْتَرَبَ ، وَقَدْ غَرَّبَهُ الدَّهْرُ .

ورجل غَرِيبٌ وَغُرْبٌ : بعيد عن وطنه ، الجمع غرباء والأثنى غريبة .

والاغتراب : افتعال من الغربة ، والمُغْتَرِبُ : المبعد في البلاد .

ومن هنا فإن الاغتراب ، كما قال صاحب اللسان افتعال من الغربة ،
وأكد أن الغربة والغُرْبُ : التَّزُوح عن الوطن والاعتراب .

والغربة معاناة وألم وحرقة يستشفها المرء من خلال الأفعال والأقوال ،
وما هي إلا انعكاس للواقع المر الذي يعيش فيه ويحيا سواء أكان ذلك في ابتعاده
عن وطنه الذي عاش على أديمه ، وتنسم هواءه ، وشرب من عذب مياهه ،
وتغذى من عطائه ، أو نأيه عن أهله وعشيرته ، أو في افتراقه عن أحبته ، أو
الانفصال عن ملاعب الصبا ومنتجع الخلان ، أم في إحساسه بغربة النفس حتى
إنه يشعر بالغربة في عيون من يحب ^(٣) ، فيصوغ الشاعر كلماته غناءً شجياً

^١ - الجامع الصحيح : الإمام مسلم المجلد الثاني ٥ / ١١٥ .

^٢ - ديوان المتلمس ، ص ٢٦٧ .

^٣ - الاغتراب في الشعر العربي : د. صاحب خليل إبراهيم ، ص ١٢ .

يفيض لوعة وأسى على الرغم مما هو عليه من تجلد وصبر مما حبته الطبيعة القاسية .

وقد أوفت اللغة العربية حق لفظة الغربة من معنى وحددت مساراتها ، بيد أن التوسع في استعمال الغربة قد تطور في العصور اللاحقة للعصر الجاهلي ، وإذا كان لابد من استخدام المصطلح فإن الغربة ذهبت إلى أبعد من التغرب عن الأوطان لتشمل أنواعاً من الغربة أو الاغتراب مثل غربة النفس والرأي ، وغربة الأسر والأسير والتغرب من أجل مصادر الحياة وغيرها .

فمدخلنا إلى الاغتراب هنا يبدأ من حيث تصور السلوك البشري الذي يفرض على الشاعر قهراً في معظم الأحيان ، وتعد الغربة النفسية أقسى أنواع الغربة ، وأشدها إيلاماً ، وقد تعرض لها الشعراء بشكل مباشر في أسرهم فنرى الألم النفسي ينتشر في أعماق الشاعر ، يشع على مساحتين ، أو عالين ، عالم الانتماء إلى القبيلة بفعل رابطة الدم ، وعالم الغربة النفسية داخل الأسر ؛ ولذا نرى الألم قد احتل الصدارة في النفس لذلك عبر عنه الشاعر أصدق تعبير ، فكانت أشعاره تراثيل شجية ، وأغان حزينة يقطر الأسى والألم منها .

يقول طرفة بن العبد وقد شبه نفسه بالأسير لما مر به من ألم وقلق ^(١) :

وَبِتُّ أُرَاعِي النَّجْمَ لَا أَطْعَمُ الْكُرَى كَأَنِّي أَسِيرٌ طَائِرُ الْقَلْبِ خَافِقُهُ

الحنين : ورد في لسان العرب ^(٢) الحنين : الشديد من البكاء والطرب ، وقيل :

هو صوت الطرب كان ذلك عن حزن أو فرح .

^١ - ديوانه ، ص ١٤٤ .

^٢ - لسان العرب : ابن منظور : مادة (حنن) .

والحنين : الشوق وتوقان النفس والمعنيان متقاربان ، والاستحسان : الاستطراب ، واستحن : استطرب . وحتن الإبل نرعت إلى أوطانها وأولادها ، والناقة تحن في إثر ولدها حنيناً تطرب مع صوت ، وقيل حنينها نزاعها بصوت وبغير صوت ، والأكثر أن الحنين بالصوت ، وتحنت الناقة على ولدها : تعطف وتغص في أساس البلاغة ^(١) : حَنَّ إلى وطنه وحنَّ عليه حناناً : ترحم عليه ، وطريق حنان ونهام : للإبل فيه حنين ونهم . ومما جاء عن الحنين في الأقوال المأثورة : إذا شئت أن تعرف وفاء الرجل وحسن عهده وكرم أخلاقه وطهاره مولده ، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وتشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من أزمائه ^(٢) .

والحنين غناء رقيق شجي ينبع من القلب يتهادى على الشفاه ممتزجاً بعاطفة قوية تعبر عن الالهفة الملهبة لكل ما يثير كوامن النفس وما يعترئها من ذكريات الماضي التي يحيا الإنسان على جمراتها .

وقد اتخذ الحنين سمة ترمز للوطن والشوق للإنسان فامتزجا وصارا كلاً موحداً يعني الوطن وساكنيه ، على أن كلمة الوطن لم تكن معروفة في الزمن القديم بالمعنى الاصطلاحي الواسع الذي نعرفه اليوم .

على أن الوطن اتسع معناه ومدلوله بعد العصر الجاهلي وتبلور واتخذ السمة التي هو عليها الآن . ولا يحس الشاعر بأهمية وطنه إلا عندما يغترب ، كما حدث لامرئ القيس ^(٣) الذي اشتدت عليه وطأة الاغتراب حينما غادر وطنه ظناً منه أن سينال عزاً في استرجاع ملك زائل ولكن المعادلة قاسية ، فتقطع صلته بعالمه الأول الذي ألفه فلا أسباب للبانة الهوى تشده إليها ، ولا

^١ - أساس البلاغة : الزمخشري ، ص ١٤٥ .

^٢ - مطالع البدور في منازل السرور : علاء الدين البهائي ٢ / ٢٩٢ .

^٣ - ديوانه ، ص ٦١ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ .

الأيام براجعة إليه فيشتد حنينه ، وتنكره بعليك وأهلها ، ولم يعرف قدره فيها ،
ويحن إلى البادية وهو في الحاضرة ويدعو في الغربة خليليه للتبصر ورؤية بارق
يضيء أعالي حجر .

ويحن إلى أرضه وهو متعلق بها ، ولكنه مسلوب الشباب ، فلا أمل له
بالعودة ^(١) ، ويحن إلى مكانه (محجر) ويفضله على أجمل الليالي في الغربة ،
وكذلك دارة جلجل ^(٢) .

ويتساءل المرقش الأكبر متى ستبلغه الناقة الخنوف إلى دار قومه بعد
اشتداد الحنين ^(٣) .

والوطن حيث أمت من بلد أو دار ، ولم نجد ما يشترطه اللغويين من
كون الوطن مسقط الرأس ، ولذا كان الشاعر الجاهلي ملتصقاً ببيته ، جاعلاً
منها وطنه مثل : الديار ، المساكن ، المنازل ، وقومه ، وموضع الخيمة التي
ينصبها عليه ويطويها أخرى ، والنسائم التي يستنشقها ، والجبال الراسيات
الشامخة كهيمته ، تلك جميعاً اتخذها الشاعر ميداناً لفروسيته ومكاناً يأوي إليه ،
ويرتبط به بحب يفوق كل حب ، ونلمح أروع صورة في اعتزاز العربي بوطنه
وقومه وتمسكه بهما وتقديم صور التضحية الفريدة ، وتحمل الأذى والألم
صورة لقيط بن يعمر الأيادي حيث يقطع لسانه ويرد حياض الموت ؛ لأنه أراد
أن يحذر قومه من استعداد كسرى لغزوهم ، وبذا تتجلى عظمة الإنسان العربي
في التضحية والفداء وإن كل شيء يهون إزاء الوطن لحمايته والحفاظ عليه ^(٤) .

^١ - ديوانه ، ص ٩٨ ، ٢١٣ .

^٢ - المصدر السابق ، ص ١٠ ، ٤٠٧ . محجر : موضع قريب من ديار طيء .

^٣ - ديوان المرقش الأكبر ، ص ٨٨٠ - ٨٨٢ .

^٤ - ديوان لقيط بن يعمر الأيادي ، ص ٣٤ .

والحنين من وفاء الإنسان وحيه حتى اتسم حب الأوطان بالوفاء لأنه ثابت لا سبيل تغيره في قلب المحب ، ولولا هذا الحب لهجرت البلدان وخربت ، حتى قال النبي ﷺ : " لولا حب الوطن لخربت بلاد السوء " ^(١) ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " الله البلدان بحب الأوطان .

ويتخذ الحنين إلى الوطن مساراً يتخفى الشاعر تحت مسماه الأصلي ، متمثلاً بحنين الإبل أعطافها ، وقد ورد ذلك عند بعض الشعراء ، وفي حين يطغى حنين عمرو بن كلثوم حتى أن أم سقب (ناقته) كانت أقل من حزنه ودون توجعه لعظم حنينه بالرغم من فقدانها ولدها وجزعها عليه ^(٢) ، وعبر الأعشى عن حنينه بحنين الجمال لأوطانها ، ووافق هواها قصد المسافرات العائدات وخلفن قلبه من حبهن كالجنون .

وهذا امرؤ القيس يذكر المواضع والحنين إليها والأهل والشوق لهم ، وكفى بالخيال عن أصحابها ، وبمرباطها عن مواضعهم مثل : (بر _ يعيص _ وميسر) وربما لطبيعة الأرض التي هو فيها ، وتذكير بعهد بطولاته التي خاضها وإياهم في شبابه قبل أن يغترب ويضيع ويضيع معه ملكه ^(٣) .

أما حاتم الطائي فقد عبر عن حنينه بالناقة التي حنت إلى جبال طيء ، ويصبرها على لهفتها التي هي لهفته لقومه وإبداء الرغبة في تحتها ^(٤) .

المبحث الأول :

الأسر لغة :

^١ - المحاسن والأضداد : المنسوب للحافظ ، ص ١١٨ .

^٢ - ديوان الأعشى : ص ٣٦٣ .

^٣ - ديوان امرئ القيس ، ص ٧٠ .

^٤ - ديوان حاتم الطائي ، ص ٣٤ .

جاء في معاجم اللغة أن الأسر يعني (القَد) الذي يشد به الحمل ، وبه سمي الأسير . وتقول أسرت الرجل أسراً فأنا آسر ، وهو مأسور وأسير ، والجمع أسرى وأسارى جمع الجمع ، والأسير : الأخيد وكل محبوس في قَد أو سجن أسير (١) .

وقد وردت لفظة أسير في القرآن الكريم بالدلالة نفسها كما في قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (٢) ، وفي قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٣) .
أما في الشعر الجاهلي : فقد ترددت لفظة الأسر على ألسنة الشعراء ، يقول النابغة الذبياني (٤) :

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ طَرِيدٍ غَيْرِ مُنْفَلِتٍ وَمَوْتَقٍ فِي حِبَالِ الْقَدِّ مَسْلُوبٍ
ويقول زيد الخيل (٥) :

أَقُولُ لِعَبْدِي جَرُولٍ إِذْ أَسْرَتْهُ أَبْنِي وَلَا يَغْرُكَ أَنَّكَ شَاعِرٌ

والشعر الجاهلي حافل بأخبار الأسر والسبي في الغارات والمعارك ، فإننا لا نكاد نخطو في قراءة أيام العرب ، حتى تلفتنا عبارات تفيد السبي والاسترقاق ، فما أكثر ما يرد فيها من أن " المغيرين أصابوا نسوة والحى خلوف " ، " وأنهم

١ - يُنظر ، جمهرة اللغة : ابن دريد البصري مادة (أسر) .

تهذيب اللغة : الأزهرى . لسان العرب : ابن منظور .

٢ - سورة الإنسان ، آية : ٨ .

٣ - سورة الأنفال ، آية : ٦٧ .

٤ - ديوان النابغة الذبياني ، ص ٩٢ .

٥ - ديوان زيد الخيل ، ص ٥٤ .

استاقوا وأصابوا النساء " ، وأُهم سبوا نساء الحي " ، " وأُهم أسروا سبياً كثيراً " (١) .

يقول عمرو بن كلثوم (٢) :

قَابُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَ

ومن المفاخر التي أشاد بها المهلهل في قتاله بكر أنه أسرهم وكسر

شوكتهم فيقول (٣) :

فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ وَهُمْ أُسَارَى يُقَوِّدُهُمْ عَلَى رَغَمِ الْأُنُوفِ

وهذا عمرو بن الأَهم يؤكد ذلك قائلا (٤) :

أَشْرَبَا مَا شَرِبْتُمَا فَهَذِيلٍ مِنْ قَتِيلٍ وَهَارِبٍ وَأَسِيرٍ

أما السبي : فهو النهب وأخذ الناس عبيداً وإماءً ، والسبية هي المرأة

المنهوبة ، فعيلة بمعنى مفعولة (٥) .

وكانوا يطلقون على المرأة المأخوذة في السبي اسم التزينة وهي التي

انتزعت من أهلها وفصلت عنهم ، والتزيع ولد الأسيرة (٦) . ويبدو أن السبي

كان أحد الأغراض الرئيسة من الغارات والمعارك في ذلك العصر ، وقد كثر

الحديث في هذا الموضوع في كتب التراث العربي (٧) .

١ - القيان والغناء في العصر الجاهلي : ناصر الدين الأسد ، ص ٣٠ .

٢ - ديوان عمرو بن كلثوم ، ص ٦٦ .

٣ - شعراء النصرانية : لويس شيخو ، ص ٨٠ .

٤ - ديوان عمرو بن الأَهم ، ص ٨٩ .

٥ - لسان العرب : ابن منظور مادة (سبي) .

٦ - النظم الاجتماعية والسياسية : محمد محمود جمعة ، ص ٣٣ .

٧ - يُنظر ، النقائض : أبو عبيدة ٢٠ / ١ - ٢٢٩ . العقد الفريد : ابن عبيد ربه ٤ / ١٠٧ -

ومن هنا نستطيع أن ندرك المفهوم المتداول لمعنى لفظ الأسر والسبي في العصر الجاهلي كما صورته لنا النصوص الشعرية فهو الأسير والمقيد والمسجون ، لأن آخذه يستوثق منه بالإسار ، وهو القيد لئلا يفلت . وهو المأخوذ في الحرب وكذلك السبي و السباء : الأسر . والسبية المرأة تسبى . وفي الحديث : " اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان " أي أسرى ، أو كالأسرى ، واحدة العواني : عانية وهي الأسيرة ، يقول هن عندكم بمنزلة الأسرى . وقال ابن سيدة : والعواني النساء ، لأنهن يظلمن فلا ينتصرن ^(١) .

وقد أخذت قضية الأسر والأسرى مساحة واسعة من الشعر العربي قبل الإسلام ، وقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالشعراء الذين عاصروها ، لأنها ترجع لماضيهم وتجديد لإحساسهم ، وتصوير لحياهم وذكرياهم .

المبحث الثاني :

الفخر بأسر الرجال وسبي النساء :

شعر الأسر تعبير عن تجربة ألم تعانيها النفس الأسيرة المعذبة حيث ينفث الإنسان الأنفاس الحرة ، والزفرات التي تقض المضاجع ، تتبع من أتون يصطلي بحر جحيمه الأسير ، فتتلاشى عنده الآمال ، وتضيق الأرحاب بما وسعت في عينه فينقلب ماضيه السعيد ، وأيامه الجميلة إلى أشواك تدميه ، وتحيل ألوان الحياة إلى سواد قائم ، فتدور بها الأرض ، وتقتحم رؤاه حجب من القمامة ، يضحى مكبلاً ذليلاً بعدما كان مثار النقع فوق الرؤوس من صولاته وجولاته ، وما كان لسيفه من أثر في أعدائه في حومة الوغى ، وسوح القتال ، إذ يستبدل الذل بالعز ، والعبودية بالحرية ، والموت بالحياة لمن يرضى بذلك . إنه يتشبث بالحياة ، ويحلم

^١ - لسان العرب : ابن منظور مادة (عون) .

بالحرية لاستعادة الماضي وممارسة رجولته عبر البطولات التي خاضها ويخوضها في سوح المنازلة .

ويأتي الأسرى نتيجة الحروب والغزوات والوقائع ، وهو موغل في العصر متقدم في الزمان ، وقد حفلت أيام العرب في الجاهلية بالأخبار والحوادث ، ولاسيما أخبار الانتصارات مما كانت تسبغ على مجالس القبائل المتعة والفخر والمباهاة ، وتكون مدعاة للاعتزاز لكونها خاضت غمار الوقائع المختلفة ، فليس غريباً أن تكون تلك الأيام مآثر الجاهلية ومكارم الأخلاق السنية ^(١) .

وبما كانت تفخر به تلك القبائل كثرة الأسرى ، وقد قال أكثم بن صيفي : "وأهنا الظفر كثرة الأسرى وخير الغنيمة المال" ^(٢) ، ويفتخر الشعراء بأخذ الأسرى لأنه برهان عملي محسوس على النصر المبين ، وافتخروا بأسباب النصر وتحدث الشعراء عن الغزو وما نتج عنه من وقوع الرجال والنساء أسرى وسبايا في أيديهم ، فقد كانت هذه الظاهرة ينبوعاً غزيراً للأدب وميداناً فسيحاً من ميادين القول والفخر ، فقد انبرى الشعراء يسجلون انتصارات قومهم وجلبهم السبايا في فخر وإعجاب ، يقول طفيل الغنوي مفتخراً ^(٣) :

وَقَتَلْنَا سَرَائِهِمْ جَهَاراً وَجِئْنَا بِالسَّبَايَا وَالنِّهَابِ
سَبَايَا طِيٍّ أَبْرَزْنَ قَسْراً وَأَبْدَلْنَ الْقُصُورَ مِنَ الشَّعَابِ
وهذا الحارث بن حلزة يقول في معلقته مفتخراً ^(٤) :

ثُمَّ مَلْنَا عَلَى تَمِيمٍ فَأَحْرَمْنَا وَفِينَا بَنَاتُ قَوْمِ إِمَاءُ

^١ - العقد الفريد : ابن عبد ربه ٥ / ١٣٢ .

^٢ - أيام العرب في الجاهلية : محمد أحمد جاد المولى ، ص ١٢٦ .

^٣ - ديوان طفيل الغنوي ، ص ٩٧ .

^٤ - ديوان الحارث بن حلزة ، ص ٣٦ .

ولعل من أبرز ما يرتبط بالنصر في أي معركة هو فخر المنتصر على أعدائه ولا شك في أن أسر الأعداء وسبي نسائهم من أول ما يفخر به ؛ لأن ذلك يعني قتل الأبطال والمحامين عن القبيلة ، ولهذا نجد الشعراء - وهم فرسان مشاركون في الغزو - يفخرون بنصر قبيلتهم ، يقول عمرو بن كلثوم ^(١) :

قَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ جَحْشًا وَوَلَّوْنَا بِأَقْفَيْهِ الْإِمَاءَ
وَأَبْنَا بِالْهَجَانِ مُرْدَفَاتٍ خَطَبْنَاهُنَّ بِالْأَسْلِ الظِّمَاءِ
وَقُدْنَا مِنْهُمْ سَرَوَاتٍ قَوْمٍ كَجُرْبِ الْإِبِلِ تُطْلَى بِالْهِنَاءِ

إن العربي افتخر بجروبه وغزاته ، ووقائعه ، وهذا عنتره بن شداد يرسم صورة الفارس العربي الذي يحمي قومه ويدفع عنهم الذل والهوان ، ويظفر بخصومهم فيهزمهم ، ويقتل منهم ويأخذ ما كان في أيديهم من الأموال والسبي ، ويترك النساء تشكو ما أصابها من تشتت في هذه المعارك ، فيقول ^(٢) :

وَإِنِّي الْيَوْمَ أَحْمِي عَرَضَ قَوْمِي وَأَنْصُرُ آلَ عَبْسٍ عَلَى الْعُدَاةِ
وَأَخْذُ مَا لَنَا مِنْهُمْ بِحَرْبٍ تَخِرُّ لَهَا مُتُونُ الرَّاسِيَاتِ
وَأَتْرُكُ كُلَّ نَائِحَةٍ تُنَادِي عَلَيْهِمْ بِالتَّفَرُّقِ وَالشَّتَاتِ ^(٣)

يبدو أن فخرهم بالسبي كان مبعثه القدرة والظفر بالخصم وشعوراً بالزهو ونشوة الغلب والنصر .

ففي مجال الفخر نرى الشاعر يقف موقف المزهو من سبيته وكأنه يستمد من انتصاره وأخذه النساء سبايا قوة نفسية تعينه على الفخر بفروسيته وتفوقه على أعدائه ، يقول زيد الخيل مفتخراً بسبي نساء عبس :

١ - ديوان عمرو بن كلثوم ، ص ١٠ .

٢ - ديوان عنتره بن شداد ، ص ١٠٦ .

٣ - الراسيات : الجبال الثابتة . متونها : ما علا منها وظهر . الشتات : التفرق .

وَنَحْنُ الْجَالِيُونَ سِبَاءَ عَبَسٍ إِلَى الْجَبَلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْقَصِيمِ ^(١)
 وكان أقسى ما يلقاه العربي أن تسبي نساؤه ، فالسبي عار كبير عليه ،
 وعندما ينهزم الأعداء شر هزيمة ويتمكن الفريق المنتصر من أسر الرجال وسبي
 النساء يفتخر الشاعر بذلك مسجلاً هذا المشهد في شعره ، فهذا عامر بن الطفيل
 يصور لنا مشهد السبايا وهن مردفات وراءهم إمعاناً في إذلال الرجال والخط من
 شأنهم ويؤكد أن قومه أجبروهم على الفرار وتسليم النساء للسبي فيقول ^(٢) :

وَجِئْنَا بِالنِّسَاءِ مُرَدَّاتٍ وَأَذْوَادٍ فَكُنَّ لَنَا طَعَامًا
 وَبَيْتًا زُبَيْدًا بَعْدَ هَدَاءٍ فَصَبَّحَ دَارَهُمْ لَجِبًا لَهَا مَآ ^(٣)
 وَقَدْ نَلْنَا لِعَبْدِ الْقَيْسِ سَبِيًّا مِنْ الْبَحْرَيْنِ يُقْتَسَمُ اقْتِسَامًا

وقد حرص العرب خلال حروبهم على الأسر والسبي أكثر من حرصهم
 على الغنائم الأخرى ، لأن في الأسر والسبي إذلال للعدو وقهراً .

وكان أكثر حرصهم عندما يتحقق النصر اختيار الحرائر ليكن سبايا ،
 ولذا كانت المرأة الحرة إذا هُزم قومها تبرز مكشوفة سافرة ليحسبها الغالبون أمة
 فيخلونها ، لأنها تعلم أنهم يقصدون الحرائر ويريدونهن ^(٤) ، ومن ذلك قول طرفة
 بن العبد ^(٥) :

يَوْمَ تُبْذَى الْبَيْضُ عَنْ أَسْوَاقِهَا وَتُلْفُ الْخَيْلُ أَعْرَاجَ النَّعَمِ

^١ - ديوان زيد الخيل ، ص ١٠٢ . القصيم : موضع معروف .

^٢ - ديوان عامر بن الطفيل ، ص ١١١ .

^٣ - الأذواد : الواحدة ذود وهو جماعة من النياق . زبيد : قبيلة من اليمن . اللجب : الجيش الكثير الصوت .
 اللهام : الجيش الضخم .

^٤ - المرأة في الشعر الجاهلي : أحمد الخوي ، ص ٤٧٨ .

^٥ - ديوان طرفة بن العبد ، ص ١٣٢ .

الفخر بحماية النساء :

وإذا كان الشاعر يفخر بسبي نساء الأعداء وأسر الرجال ، فإنه قد فخر كذلك بحماية نساء قبيلته والذود عنهن ، وفي ذلك يقول عنترة بن شداد :

وَمُرْقِصَةٌ رَدَدْتُ الْحَيْلَ عَنْهَا وَقَدْ هَمَّتْ بِإِلْقَاءِ الزَّمَامِ
فَقُلْتُ لَهَا أَقْصِرِي مِنْهُ وَسِرِّي وَقَدْ عَلِقَ الرَّجَائِزُ بِالْخِدَامِ^(١)

يفخر العربي بصون نسائه ، ولذلك كان من مفاخره أن يقي النساء السبي ، ويهرع إلى الميدان لاستخلاص السبايا وإنقاذهن من الوقوع في أيدي الأعداء ، يقول طفيل الغنوي^(٢) :

فَنَحْنُ مَنَعْنَا يَوْمَ حَرَسِ نِسَاءِكُمْ غَدَاةَ دَعَانَا عَامِرٌ غَيْرَ مُؤْتَلٍ
رَدَدْنَا السَّبَايَا مِنْ نُفَيْلٍ وَجَعْفَرٍ وَهَنَّ حَبَالِي مِنْ مُخَفٍّ وَمُثْقَلٍ

كما افتخر قيس بن الخطيم بصونه نساءه في يوم بعث قائلاً :

وَأَنَا مَنَعْنَا فِي بُعَاثٍ نِسَاءَنَا وَمَا مَنَعَتْ مِ الْمُخْزِيَاتِ نِسَاءَهَا^(٣)

ويقول ربعة بن مقروم مفتخراً بقومه بأنهم يمنعون الحريم^(٤) :

طَوَالَ الرَّمَاحِ غَدَاةَ الصَّبَاحِ ذَوُو نَجْدَةٍ يَمْنَعُونَ الْحَرِمَا

ويبدو أن تأمين حماية النساء والحفاظة عليهن من أشد ما يحرص عليه العربي يقول

عمر بن كلثوم :

^١ - ديوان عنترة بن شداد ، ص ٦٦ .

المرقصة : يريد امرأة هاربة . الرجائز : مركب النساء . الخدام : الواحدة خدمة : الخللخال .

^٢ - ديوان طفيل الغنوي ، ص ٦٦ - ٦٧ .

حرس : موضع . غير مؤتلي : غير مقصر . نفيل وجعفر : قبيلتان .

^٣ - ديوان قيس بن الخطيم ، ص ٦١ . يوم بعث من مشاهير أيام العرب .

^٤ - المفضليات : المفضل الضبي ، ص ١٨٣ . مفضلية رقم ٣٨ .

عَلَى آثَارِنَا بِيضٌ حِسَانٌ نُحَازِرُ أَنْ تُقَسِّمَ أَوْ تَهُونَا
أَخَذَنَ عَلَى بُعُولَتِهِنَّ عَهْدًا إِذَا لَاقُوا كَتَائِبَ مُعَلِّمِينَا
لَيْسَتِلْبُنْ أَفْرَاسًا وَبَيْضًا وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَا
يَقْتَنُ حَيَادِنَا وَيَقْلَنَ لَسْتُمْ بُعُولَتْنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا^(١)

وهكذا نرى البدوي في تلك الصحراء القاسية الوعرة قد عمل جاهداً على استنقاذ السبايا مهما كلفه ذلك من تضحيات .

موقف المهزوم ومعاناته :

لقد حتمت المعارك التي خاضها العربي أن يكون هناك منتصر ومهزوم ، وإذا كان المنتصر يفخر بنصره ، ويزهو بشجاعته وغلبة فرسانه ، ويعبر أعداءه بهزيمتهم وبسبي نسائهم فلا شك أن المهزوم سيعبر عن ألمه لما لحق به ، ويظهر حسرته لما أصاب نساء قبيلته - لا سيما الزوجة ، والبنت - من ذل السبي وهوان الأسر .

يقول عنترة بن شداد عندما كرّ على بني طيء واستنقذ السبايا من أيديهم^(٢) :

وَخَلَّصْتُ الْعَذَارَى وَالْعَوَانِي وَمَا أَبْقَيْتُ مَعَ أَحَدٍ عَقْلًا
وهذا شاعر آخر يكشف عن جو الحسرة ، والألم الذي يحيط به بعد أن حُسم الأمر ، وأخذت أخته سبية ، فنجد الحسرة والأسى والمعاناة في ألفاظه .

^١ - ديوان عمرو بن كلثوم ، ص ٦٨ .

البعولة : هنا الأزواج . معلمينا : لهم علامات يعرفون بها في الحروب . القوت : الإطعام . بقدر الحاجة . الفعل قات : يقوت ، والاسم : القوت .

^٢ - ديوان عنترة بن شداد ، ص ٢٠٤ .

يقول عمرو بن معد يكرب عندما أسرت أخته ربحانة ، و كان الصمة والد دريد
قد غزا بني زيد فسبها . وحاول عمرو مرارا استردادها فلم يقدر ^(١) :

أَمِنْ رِبْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ يُؤَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
سَبَّاهَا الصِّمَّةُ الْجُشْمِيُّ غَضَبًا كَأَنَّ بِيَاضَ غُرَّتِهَا صَدِيعُ

ومما يلاحظ أن العربي يأبى الذل ويرفض العار إذا تعرضت المرأة للسخي
والأسر ، ولا يقر له قرار إلا حين يستردها ، أخذ عنترة بن شداد أسيراً في حرب
كانت بين العرب والعجم وكانت عبلة من جملة السبايا ، فقال ^(٢) :

لَهْفِي عَلَيْكَ إِذَا بَقِيتِ سَيِّئَةً تَدْعِينَ عَنَتَرَ وَهُوَ عَنكَ بَعِيدُ

ويبدو أن المهزوم إذا انهزم في معركة ، فإنه يسجل لنا تلك الهزيمة ،
معترفاً ما لحق بقومه من سبي وأسر فهذا البراء بن قيس الكندي يرسم لنا صورة
صادقة لما حدث لقومه يوم الكلاب الثاني فيقول ^(٣) :

قَتَلْتَنَا تَمِيمٌ يَوْمًا جَدِيدًا قَتَلَ عَادٌ وَذَاكَ يَوْمَ الْكَلَابِ
يَوْمَ جِئْنَا يَسُوقُنَا الْحَيْنَ سَوْقًا نَحْنُ قَوْمٌ كَأَنَّهُمْ أَسَدٌ غَابِ
وَحَشَدُنَا الصَّمِيمَ نَرْجُو نَهَايَا فَلَقِينَا الْبَوَارِ دُونَ النَّهَابِ
لَقِيتْنَا أَسْوَدَ سَعْدٍ وَسَعْدٍ خَلَقْتَ فِي الْحُرُوبِ سَوْتَ عَذَابِ
تَرْكُونِي مَسْهَدًا فِي وَثَاقٍ أَرْقُبُ النِّجْمَ مَا أَسِيفُ شَرَايِ

ومما يرتبط بموقف المهزوم كما يجسده الشعر أن شعراء القبائل المهزومة
الذين سُبَّت نساؤهم يستجدون رد هؤلاء النساء بالفدية أو بالمن ، أو بمجد

^١ - الأسمعيات : الأصمعي ، ص ١٩٨ . الأسمعية رقم ٦١ . الشعر والشعراء : ابن قتيبة ١ / ٢٨٩ .

^٢ - ديوان عنترة بن شداد ، ص ١٣١ .

^٣ - الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ١٦ / ٣٦٦ .

الأسر حتى تنجح مساعيهم بردهن ، يقول دريد بن الصمة مادحاً يزيد بن عبد
المدان (١) :

بَنِي الدِّيَانِ رُدُّوا مَالَ جَارِي
وَأَسْرَى فِي كُبُولِهِمُ الثِّقَالِ
وَرُدُّوا السَّبْيَ إِنْ شِئْتُمْ بِمَنْ
وَإِنْ شِئْتُمْ مُفَادَةً بِمَالِ

ثم بعث دريد بن الصمة هذه الأبيات إلى يزيد فلما بلغته قال : وجب
حق الرجل ، فبعث إليه أن أقدم علينا ، فلما قدم عليه أكرمه ، وأحسن مشواه
ورد عليه الأسارى والسبايا ، فقال دريد :

مَدَحْتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ
إِذَا الْمَدْحُ زَانَ فَتَى مَعَشَرِ
فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ فَتَى مُمْتَدَحِ
فَإِنْ يَزِيدُ يَزِينُ الْمَدْحَ
حَلَلْتُ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ
فَأُورَى زِنَادِي لَمَّا قَدَحَ
وَرَدَّ النِّسَاءَ بِأَطْهَارِهَا
وَلَوْ كَانَ غَيْرُ يَزِيدَ فَضَحَ
وَفَكَ الرِّجَالَ وَكُلَّ امْرِئٍ
إِذَا أَصْلَحَ اللَّهُ يَوْمًا صَلَحَ

إن شعر المهزوم يصدر عن انفعال عفيف ، وحالة نفسية صعبة يعيشها ؛
فهو يعالج قضية السبايا والأسرى من خلال تجربته الميرة ، ويكرس إبداعه
الشعري من أجل إنقاذهم ، قال المثقب العبدى يمدح النعمان بن المنذر بكرم
الأرومة وإخضاعه قبائل من العرب ثم رجاه أن يطلق سراح الأسرى والسبايا
(٢)

فَأَنعِمَ أَبَيْتَ اللَّعْنِ إِنَّكَ أَصْبَحْتَ
وَأَاطَلْتَهُمْ تَمْشِي النِّسَاءُ خِلَالَهُمْ
لَدَيْكَ لُكَيْزٌ كَهْلُهَا وَوَلِيدُهَا
مُفَكَّكَةٌ وَسَطَ الرِّجَالِ قِيُودُهَا

^١ - المصدر نفسه ١٠ / ٤٣ .

^٢ - المفضليات : المفضل الضبي مفضلية رقم ٢٨ ، ص ١٤٩ - ١٥٩ .

وهذا زيد الخيل يطلب من آسريه أن يعفوا عن السبايا والأسرى ويشعر
بالمسؤولية تجاه قومه فيقول ^(١) :

بَنِي أَسَدٍ رُدُّوْا عَلَيْنَا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَاسْتَمْتِعُوا بِالْأَبَاعِرِ
وَبِالْمَالِ أَنَّ الْمَالَ أَهْوَنُ هَالِكٍ إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
وَلَا تَجْعَلُوهَا سُنَّةً يَقْتَدِي بِهَا بَنُو أَسَدٍ وَإِعْفُوا بِأَيْدٍ قَوَادِرِ

فقد لجأ الشعراء إلى الألفاظ المعبرة التي تضيء على شعرهم هالة من
الحزن والانكسار وتثير معاني النخوة والرحمة في نفوس الأسرى .

والأسير يخرج من مساحة الحلم الذي سبق أن رسمه قبل الأسر ، داخلاً
دائرة الواقع الذي لا يستطيع الانفلات منه وهو في ضمير الغيب ، إما حياة له
بعد افتدائه ، وإما ذلة ضربت عليه ليموت بعدها ذليلاً بعد معاناة وتوتر شديد
يحقق به . لذا فإن الشاعر يجترح مشاعره عبر زفرات حادة تكون شعراً كل
حرف فيه يشده إلى الألم والحسرة والغربة التي تعصف بكيانه .

ويأسر عامر بن الطفيل معبد بن زرارة في يوم رحرحان ^(٢) وتجري
المساومة على فدائه ويبقى في أسره ينادي أخاه لقيط معبراً عن حياة ستتوقف ،
والخيبة المرة تدميه ويتسرب إليه اليأس ويأخذ سبيله منتشراً في كيانه كله ، تملؤه
غربة لا عودة له للمسير في دروب الحنين ، ولا في مسالك الشوق ، فهي غربة
مكان وزمان ونفس ويأس ثم موت محقق ، فأضرب عن الطعام وهزل فكانت
منيته ^(٣) .

^١ - ديوان زيد الخيل ، ص ٦٤ - ٦٥ .

^٢ - العقد الفريد : ابن عبد ربه ٥ / ١٤٠ . أيام العرب في الجاهلية : محمد أحمد جاد المولى

وآخرون ٣٤٤ - ٣٤٨ .

^٣ - ديوان عامر بن الطفيل ، ص ١٠٣ .

قَضَيْنَا الْجَوْنَ عَنْ عَبَسٍ وَكَانَتْ مَنِةً مَعْبَدٍ فِينَا هُزَالًا
على أن تلك الحالات لم تكن بتلك الكثرة المتوقعة على عظم الأيام
وأحداثها الجسام ، ولعل مرد ذلك لأسباب تكمن في القيم الاجتماعية التي لا
تجذب مثل تلك الحالات .
تعبير الأعداء :

كان من أشد مواجع القبيلة أن تُعَيَّرَ بهزيمتها ، وأسر رجالها وسبي نساؤها .
والتعبير : السبة والعيب ، وقيل هو كل شيء يلزم به سبة أو عيب ،
وتعابير القوم عَيَّرَ بعضهم بعضاً ، وعَيَّرَهُ بكذا والمعاير : المعايير تعابير القوم تعايروا
(١)

ويعبر الشعراء من يترك نساءه للسي يقول قيس بن الخطيم معيراً
الخزرج لأهم أسلموا نساءهم وهربوا من ساحة القتال في يوم بعث وتركوا
النساء بلا حماية :

كَأَنَّا وَقَدْ أَجَلَّوْا لَنَا عَنْ نِسَائِهِمْ أَسْوَدَ لَهَا فِي عَيْصٍ بَيْشَةَ أَشْبَلُ (٢)
إن الهزيمة ومقتل الفرسان وتشتت شملهم تجعل النساء فريسة سهلة في
قبضة أعدائهم ، ففي سبيهن إذلال لقومهم وجلب العار .

إن بني عامر أخذوا امرأة من بني عبس ، يقال لها أسماء فما لبثت عندهم
إلا يوماً حتى استنقذها قومها ، فبلغ عروة بن الورد أن عامر بن الطفيل فخر

١ - لسان العرب : ابن منظور مادة (عير) .

٢ - ديوان قيس بن الخطيم ، ص ١٤٠ .

العيص : أصول الشجر الملتف . بيشة : من عمل مكة مما يلي اليمن ، من مكة على خمس مراحل وبها من
النخل والفسيل شيء كثير .

بذلك ، وذكر أخذه إياها ، فقال عروة يعيرهم بأخذه ليلي بنت شعواء الهلالية (١) :

فَإِنْ تَأْخُذُوا أَسْمَاءَ مَوْقِفَ سَاعَةٍ فَمَا خَذَ لَيْلَى وَهِيَ عَذْرَاءُ أَعْجَبُ
لَيْسَنَا زَمَانًا حُسْنَهَا وَشَبَابُهَا وَرُدَّتْ إِلَى شَعَوَاءَ وَالرَّأْسُ أَشِيبُ
كَمَا خَذْنَا حَسَنَاءَ كُرْهًا وَدَمْعُهَا غَدَاةَ اللُّوَى - مَغْصُوبَةً - يَتَصَبَّبُ

فقد كان وقوع النساء سبايا من المعاييب الشديدة على العربي ، ومثلبة يشهر بها الشعراء ويشمت بها الخصوم ، يقول عامر بن الطفيل معيراً عنترة بن شداد :

يَا رُبَّ قِرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا ضَحِمَ الدَّسِيعَةِ رَأْسٍ حَيٍّ جَحْفَلٍ
وَتَرَكْتُ نِسْوَتَهُ لَهْنٌ تَفْجُعُ يَنْدُبْنُهُ أَصْلًا بَنُو حُمُورٍ
نِ آلِ عَبَسٍ قَدْ شَقِيتُ حَرَارِيَّ وَغَنِمْتُ كُلَّ غَنِيمَةٍ لَمْ تَضْهَلِ
وَنَجَا بَعْنَتَرَةَ الْأَغْرُ مِنْ الرَّدَى يَهْوِي عَلَى عَجَلٍ هُوِيَّ الْأَجْدَلِ
وَتَرَكْتُ عِبْلَةَ فِي السَّوَاءِ لَفْتِيَّةٍ بَاتُوا عَلَى كُتْفِ الْخَيُْولِ الْجَوْلِ (٢)

وهذا زهير بن جناب يعير التغلبيين قائلاً :

تَبَّأَ لَتَغْلِبَ أَنْ تُسَاقَ نِسَاؤُهُمْ سَوَقَ الْإِمَاءِ إِلَى الْمَوَاسِمِ عَطَلًا (٣)

وكذلك عير امرؤ القيس شهاب بن شداد بن ثعلبة قائلاً :

إِنَّا تَرَكْنَا مِنْكُمْ قَتْلَى بِحَوِ عَى وَسَبِيًّا كَالسَّعَالَى

١ - ديوان عروة بن الورد ، ص ١٨ . الأغاني : الأصفهاني ٣ / ٧٩ .

٢ - ديوان عامر بن الطفيل ، ص ٩٢ - ٩٣ .

القرن : نقول هو قرنه في القتال إذا كانت شجاعتها واحدة . مجدلاً : مصروعاً على الجدالة وهي الأرض . جحفل : غليظ الشفة ، ضخم الرسبة : أي الخلق . أصلاً : عشياً .

تضهل : تجتمع . الأغر : فرسه ، والأنثى غراء . الأجدل : الصقر . السواء : الوسط .

الجول : الجولان .

٣ - الأغاني : الأصفهاني ١٩ / ٢٣ . عطلا : عطل بدون حلي .

يمشون حول رحالنا معترفات بجوع وهزال^(١)

وهكذا نرى أن العربي يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه لما تنتظر منه نساء القبيلة القيام بواجبه إزاءهن ، والدفاع عنهن ، وخاصة حين تشتد المعارك والحروب بين القبيلة والقبائل الأخرى فيرد على أعدائهم ، ويدحض حججهم ويعيرهم بالجبن والهزيمة إذا تركوا النساء بدون حماية ، يقول الخطيئة :

لَا يَصْبِرُونَ وَلَا تَزَالُ نِسَائُهُمْ تَشْكُو الْهَوَانَ إِلَى الْبَيْسِ الْأَبَاسِ
تَرَكُوا النِّسَاءَ مَعَ الْجِيَادِ لِمَعَشَرٍ شَمْسِ الْعِدَاوَةِ فِي الْحُرُوبِ الشُّوسِ^(٢)
وكثيراً ما تكون المرأة الضحية الأولى في هذه المعارك ، خاصة عندما تلحق الهزيمة قبيلتها ، وتؤخذ سبية ، لذلك كانت تعير من يفر من المعركة ويتركها للأسر والسبي .

ففي يوم ذي نجب أسر خالد بن نضلة ودودان بن خالد وصارت سلمى بنت الخلق لعروة بن خالد ، فقالت تعير جواباً بفرته والطفيل :

حَى إِلَاهُ أَبَا لَيْلَى بِفَرَّتِهِ يَوْمَ النَّسَارِ وَقُنْبَ الْعَيْرِ جَوَابَا
كَيْفَ الْفَخَارُ وَقَدْ كَانَتْ بِمَعْتَرِكِ يَوْمَ النَّسَارِ بَنُو دُيَّانَ أَرَابَا
لَمْ تَمْنَعُوا الْقَوْمَ إِذْ شَلُّوا سَوَامَكُمْ وَلَا النِّسَاءَ وَكَانَ الْقَوْمُ أَحْزَابَا^(٣)

^١ - ديوان امرئ القيس ، ص ٢١٠ . خوعي : موضع . السعالى : الغيلان مفردها سعالاة .

^٢ - ديوان الخطيئة ، ص ٢٧٣ . البئيس الأبأس : الذي به البؤس من الفقر . الشوس : الشداد .

^٣ - النقائض : أبو عبيدة معمر بن المثنى ١ / ٢٢٨ - ٢٢٩ . أبا ليلى : يعني أبا عامر بن الطفيل ، وجواب : لقب ، لأنه كان يجوب الأبار يخفرها ويتخذها لنفسه . لحا : قبحه ولعنه . قنب العير : مخلب الأسد . شلوا : طردوا . سوامكم : دوابكم .

وكثيراً ما استفزت النساء في أشعارهن الرجال بتهكم مر ومثل هذا
التهكم يجعل العربي يستبسل في القتال مدافعاً عنهن لنلا تشمت به النساء ، يقول
قييسة بن كلثوم ^(١) :

هزأت جاري وقالت عجباً إذ رأيتني في جيدي الأغلال
ويظهر أن المرأة تسخر من الرجل إذا وقع أسيراً ، وهزأ منه ، يقول عبد
يغوث بن وقاص الحارثي ^(٢) :

وَتَضَحْكُ مِنِّي شَيْخَةً عَبْشَمِيَّةً كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا
لذلك كان العربي كلفاً بتوجيه اعتذاره للمرأة إذا فر من المعركة كما
وقع لأزهر بن هلال التميمي ، حين انتهى من حربه وقص على زوجته أمره ،
 واعتذر لها بأنه لم يفر إلا بعد أن هُزم رجاله وتفرقوا ، يقول ^(٣) :

أعاتك ما وليت حتى تبددت رجالي وحتى لم أجد متقدما
أعاتك إني لم ألم في قتالهم وقد عض سيفي كبشهم ثم صمما
أعاتك أفناني السلاح ومن يطل مقارعة الأبطال يرجع مكلما
وقد أورد البحري في حماسه ، شعراء يعتذرون لنسائهم ويبررون
فرارهم من المعارك الضارية لإقناعهن ، ولخوفهم من التعيير وشدة وقعه في
نفوسهم ^(٤) .

المبحث الثالث :

موقف المرأة من الأسر والسي :

^١ - الأغاني : الأصفهاني ١٣ / ٧ .

^٢ - الفضليات : الفضل الضبي ، ص ١٥٨ . عبشمية : نسبة إلى عبد شمس ، ويقال عبشمي .

^٣ - الحماسة : البحري ، ص ٤١ .

^٤ - المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

رفضت المرأة العربية أن تكون سبية ، وفضلت الموت حرة كريمة على أن تكون أسيرة في بيت سايها ، فشعورها بالذل والمهانة جعلها تفضل الموت على السبي ومن ذلك " لما أغار حمل بن بدر الفزاري على بني عبس ، فظفر بفاطمة بنت الخرشب (أم الربيع) وأيقنت أنه ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من البعير فماتت خوفاً من أن يلحق ببنيها عار فيها " (١) .

تبغض المرأة العربية الأسر ، وتعتبره قيداً يكبلها ويحد من حريتها ، ويشعرها بالإذلال والعبودية فهي ترفض بشدة وجودها سبية في بيت سايها على الرغم من زواجه منها ، وقد ورد إلينا أن عروة بن الورد أصاب في بعض غاراته امرأة من كنانة فاتخذها لنفسه فأولدها وحج بها ، ولما لقيه قومها قالوا له : فادنا بصاحبنا ، فإننا نكره أن تكون سبية عندك ، قال على أن نخيرها بعد الفداء فإن اختارت أهلها أقامت فيهم ، وإن اختارتني خرجت بها ، وكان يرى أنها لا تختار عليه ، فأجابوه إلى ذلك وفادوا بها ، فلما خيروها اختارت قومها (٢) .

وهكذا يتضح لنا موقف المرأة العربية من السبي ، فهي تُظهر احتراماً وتقديراً لأهلها وتؤمن بقيم مجتمعتها وتقاليده ، وترفض بشدة أن تكون سبية .

وقد استطاع الشعراء أن يجسدوا موقف المرأة من السبي بصور مختلفة ، وقد صوروا النساء السبايا تصويراً مؤثراً ، وهن النائحات الحائفات ، ورسما لنا صور الأسى والألم الذي يظهر على محياهن ، يقول عنتر بن شداد (٣) :

وَتَضِحُ النِّسَاءُ مِنْ خَيْفَةِ السَّبِّ يِ وَتَبْكِي عَلَى الصِّغَارِ الْيَتَامَى

١ - الأغاني : الأصفهاني ١٧ / ١٨٧ .

٢ - الشعر والشعراء : ابن قتيبة ٢ / ٥٦٧ .

٣ - ديوان عنتر بن شداد ، ص ٢١٧ .

وهذا عروة بن الورد يرسم لنا لوحات فنية تبرز صور النساء السبايا وهن يتعرضن للمذلة والهوان ، يقول :

رَحَلْنَا مِنَ الْأَجْبَالِ أَجْبَالَ طِيٍّ نَسُوقُ النِّسَاءَ عَوْذَهَا وَعِشَارَهَا
تَرَى كُلَّ بَيْضَاءِ الْعَوَارِضِ طِفْلَةً تُفَرِّي إِذَا شَالَ السَّمَاءُ صِدَارَهَا
وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ لَا انْقِلَابَ لِرَحْلِهَا إِذَا تَرَكْتَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دَارَهَا^(١)
وعامر بن الطفيل يرسم لنا صورة المرأة وقد تركت زينتها حزناً على فقدها الزوج والأهل فيقول :

وَحَيًّا مِنْ بَنِي أَسَدٍ تَرَكْنَا نِسَائَهُمْ مُسَلِّبَةً أَيَّامِي^(٢)
وهذا شاعر آخر يرسم صور السبايا وقد أدمين حدودهن بأظفارهن ذعراً ، يقول عامر بن الطفيل^(٣) :

وَأَرَدْنَا نِسَائَهُمْ وَجِئْنَا وَقَدْ دَمِيتَ مِنَ الْخَمَشِ الْخُدُودُ
إن شيوع السبي في ذلك العصر وكثرة عدد السبايا جعلهم يتزوجون السبية بغير صداق ، ويستولدونها وسمي هذا النوع من الزواج بزواج الأسر ، وقد نظروا إليه نظرة خاصة ، وعدوه ضرباً من الفروسية والشجاعة والبطولة ، فالسيف

^١ - ديوان عروة بن الورد ، ص ٨٦ . عوذها وعشارها : أراد النساء حوامل ومراضع .

السماك : النجم . شال : ارتفع .

^٢ - ديوان عامر بن الطفيل ، ص ١٠٩ . مسلبة : تركت الزينة وهي الحاد . الأيامي : الواحدة

أُم : التي لا زوج لها .

^٣ - المصدر نفسه ، ص

يكفيهم دفع المهر أو الصداق ^(١) ، وقد افتخروا بذلك يقول عنترة بن شداد : ^(٢)

وَأَحْصَنْتُ النِّسَاءَ بِحَدِّ سَيْفِي وَأَعْدَائِي لِعُظْمِ الْخَوْفِ فَلَوْا
وَإِذَا سَى رَجُلٌ امْرَأَةً فَلَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا إِنْ شَاءَ ، وَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَأْبَى عَلَيْهِ
ذَلِكَ لِأَنَّهَا فِي سَبَائِهِ ، وَهِيَ فِي مَلِكٍ سَابِيهَا ، وَيَكُونُ هَذَا الزَّوْجُ بَغِيرِ خُطْبَةٍ وَلَا
مَهْرٍ لِأَنَّهَا مَمْلُوكَةٌ وَلَيْسَ لَهَا خِيَارٌ ^(٣) ، يقول الشاعر ^(٤) :

وَمَا خَطَبْنَا إِلَى قَوْمٍ بَنَاتِهِمْ إِلَّا بِأَرْعَنٍ فِي حَافَاتِهِ الْحَرْقُ
وقد ورد في شعرهم أن أبناء السبايا هم أشجع الفرسان وخيرة الفتيان ،
ولهذا يحرص العربي على الزواج من سيته ، يقول حاتم الطائي ^(٥) :

وَمَا أَنْكَحُونَا طَائِعِينَ بَنَاتِهِمْ وَلَكِنْ خَطَبْنَاهَا بِأَسْيَافِنَا قَسْرًا
مَا زَادَهَا فِينَا السَّبَاءُ مَذَلَّةً وَلَا كَلَفَتْ خَبْرًا وَلَا طَبَخَتْ قَدْرًا
وَلَكِنْ خَلَطْنَاهَا بِخَيْرِ نِسَائِنَا فَجَاءَتْ بِهِمْ بَيضًا وَجُوهُهُمْ زَهْرًا
وَكَأَنَّ تَرَى فِينَا مِنْ ابْنِ سَبِيَّةٍ إِذَا لَقِيَ الْإِبْطَالَ يَطْعَنُهُمْ شَزْرًا
ويبدو أن كرم أخلاقهم ، وحسن معاملتهم للزوجة السبية جعلهم لا يفرقون
بينها وبين نسائهم ، كما لا يفرقون بين أبناء القبيلة وبين أبنائهم من السبايا .
غربة الأسر ومعاناة الأسير :

^١ - يُنْظَرُ ، النظم الاجتماعية والسياسية : محمد محمود جمعة ، ص ٣٩ .

^٢ - ديوان عنترة بن شداد ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .

^٣ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي ٥ / ٥٤٦ .

^٤ - الوحشيات : أبو تمام ، ص ٨٩ .

^٥ - العقد الفريد : ابن عبد ربه ٥ / ١٠٥ . ولم ترد الأبيات في الديوان .

نجد قلة قصائد الأسر الكاملة من لدن الشعراء الأسرى أنفسهم ، لأنه مبعث إهانة وذل يأنف منهما الشاعر ، ونجد تجارب قليلة بهذا الصدد لا ينقلها لنا الشاعر إلا بعد يقينه من أن جذوة الحياة ستنطفئ لا محالة ، فلا يجد حرجاً من نقل تجربة الأسر .

بيد أن هذا الأمر لم يمنع من ورود نصوص تعبر عن الأسى نفسياً واجتماعياً ، ووصف الشعراء لقيودهم . وقد شبه طرفة بن العبد نفسه بالأسير لما مر به من ألم وقلق فقال ^(١) :

وبتُ أُرَاعِي النَّجْمَ لَا أَطْعَمُ الْكُرَى كَأَنِّي أُسِيرُ طَائِرَ الْقَلْبِ خَافِقُهُ
يَعَالِجُ أَغْلَالَ الْحَدِيدِ مُكْبَلًا وَقَدْ عُذُنَ بِيضًا كَالْتَّغَامِ مَفَارِقُهُ

وقد يكلف السيد في قومه والكريم بأعمال من هو أدنى منه منزلة ، أو يكلف بأعمال تخالف شعائر قومه ، ومن ذلك ما مر بحاتم الطائي حينما وقع أسيراً عند بكر ابن وائل ، وبقي عند رجل من عنيزة فأتته امرأة منهم اسمها عالية بناقة فقالت له : (أفصد هذه) في محاولة منها لإخضاعه لشعيرة من شعائر قومها في حين كانت قبيلة حاتم تعقر ولا تفصد ، وإن التزامه بالعقر كرامة وإرغامه على الفصد خروج على ما ألفه واعتاد ، فما كان منه إلا اتباع ما درج عليه من العقر فنحر الناقة ، فلما رأتها المرأة عالية منحورة صرخت ، فقال حاتم ^(٢) :

لَا أَفْصِدُ النَّاقَةَ فِي أَنْفِهَا لَكِنِّي أَوْجَرُهَا الْعَالِيَةَ
إِنِّي عَنِ الْفَصْدِ لَفِي مَفْخَرٍ يَكْرَهُ مِنِّي الْفَصْدُ الْآلِيَةَ

^١ - ديوان طرفة بن العبد ، ص ١٤٤ .

^٢ - ديوان حاتم الطائي ، ص ٥٣ - ٥٤ .

وقد ذكرنا في البداية أن غربة الشاعر الزمانية والمكانية تلهب مشاعره وتؤجج عواطفه ، هذا الأعشى يقع أسيراً فمر به شريح فناده الأعشى قائلاً ^(١) :

شُرَيْحُ لَا تَتْرُكْنِي بَعْدَ مَا عَلِقْتَ حَبَالَكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْقَدِّ أَظْفَارِي
قَدْ جُلْتُ مَا بَيْنَ بَانِقِيَا إِلَى عَدَنَ وَطَالَ فِي الْعُجْمِ تَرْحَالِي وَتَسْيَارِي ^(٢)
فَكَانَ أَكْرَمُهُمْ عَهْدًا وَأَمْنَهُمْ جَارًا أَبُوكَ بِعُورٍ غَيْرِ انْكَارٍ
كَالْعَيْثِ مَا اسْتَمَطَرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ وَعِنْدَ ذِمَّتِهِ الْمُسْتَأْسَدُ الضَّارِي ^(٣)
كُنْ كَالسَّمَوَالِ إِذْ طَافَ الْهُمَامُ لَهُ فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ ^(٤)
إِذْ سَامَهُ خُطْبِي خَسَفَ فَقَالَ لَهُ قُلْ مَا تَشَاءُ فَإِنِّي سَامِعٌ حَارٍ ^(٥)
فَقَالَ ثُكُلٌ وَغَدَرٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا فَاخْتَرِ وَمَا فِيهِمَا حَظٌّ لِمُخْتَارٍ
فَشَكٌّ غَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي

إن الأسير إحساس فاجع للشاعر ، فهو يعيش أقسى اللحظات التي يحياها مكبلاً في أسره ، فتقلب حياته إلى كدر ويعتصر قلبه الخوف ، ويتوجس خيفة منه ، لهرب النور عن عينيه ، وانحسار المتع التي يمارسها في حله وترحاله ويتفاقم هذا الإحساس للأسير الذي بعد عن أهله ونأى عن الخلان والأحباب ، فيسوح في عالم تحتاحه غربة مكان وزمان في آن معاً ، وغربة موت في الغربة ، ولذا استنجد بشريح بن حصن بن عمران بن السموأل يطلب النجاة منه ويذكره

^١ - الأغاني الأصفهاني ٩ / ١٣٩ . الشعر والشعراء : ابن قتيبة ١ / ١٨٣ .

^٢ - بانيقيا : ناحية من نواحي الكوفة .

^٣ - الوابل : المطر الشديد .

^٤ - الهمام : هو الحارث بن ظالم الذي أخذ ابن السموأل وقتله .

^٥ - حار : حارث للترخيم .

بكرم ووفاء أبيه وجده وأفعالهما الحميدة التي تعد مضرِباً للأمثال ومن هذا المنطلق فإنه يدعوهُ للتحرك لفك قيده وإطلاق سراحه من الأسر وقد دون بعض الشعراء بعض حالات الأسرى النفسية ، ونجد ورود ألفاظ القيود بصيغ متعددة منها القيد^(١) ، أو القيد والوثائق والمكبل أو المكبل ، والإسار والصفد والمقرن بالحديد^(٢) .

إن العرب كانت تأنف من مقتل الأسير وتنكره ، ولا تحبذه لإنسانيتهم في تعاملهم مع الأسرى .

"ومن تقاليد الفروسية معاملة الأسير بالحسنى ، وتجنب إذلاله ومهانتة ؛ لأن إعزاز الأسير واحترامه يمثل الهدف النبيل ، ويصور منتهى الشهامة والسمو الإنساني"^(٣) .

"أسر بسطام بن قيس الشيباني الأقرعان ، الأقرع بن حابس وأخوه فراس التميميان ، وكان في الأسرى إنسان من يربوع سمعه بسطام في الليل يقول :

فدى بوالدة علي شقيقة فكأنها حرص على الأسقام
لو أنها علمت فيسكن جأشها إني سقطت على الفتى المنعام
فلما سمع بسطام ذلك منه قال له : وأبيك لا يخبر أمك عنك غيرك ،
وأطلقه^(٤) .

١ - القيد : السير الذي يُقَدُّ من الجلد ، لسان العرب (مادة قيد) .

٢ - المقرن : مفرد والجمع مقرونين : مغلولين . الصفد : العطاء

٣ - الفروسية في الشعر الجاهلي : نوري القيسي ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

٤ - الكامل في التاريخ : ابن الأثير ١ / ٣٣٤ .

وأمثلة الوفاء عند العربي كثيرة لا تعد ولا تحصى ، فالتمسك بالوعد والوفاء به سمة تميزه وتحمده له حتى في أشد المواقف حرجاً ، فنرى الحارث بن عباد يأسر المهلهل قاتل ولده بجير في حرب البسوس ، وهو لا يعرفه ، فيسأله عن مكان المهلهل ، فيقول له : أتطلق سراحه إن دلتك عليه ؟ فيعده بذلك ويكشف المهلهل عن شخصيته ويخبره بأنه المهلهل ويطلقه الحارث وفاءً للعهد الذي قطعه له ^(١) .

وقد عبر علقمة الفحل عن حسن معاملة الأسير من لدن آسره ولا يدانيه في عزه إلا أسير ، حيث يعيش معزراً مكرماً :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا أَسِيرُهُ مَدَانٌ وَلَا دَانَ لَذَاكَ قَرِيبُ ^(٢)

وهذا عمرو بن كلثوم يأسر حذيفة بن بدر ولما وافى به بني تغلب ، ناشدوه قتله ، فأبى ثم مَنَّ عليه وأطلقه فقال عمرو بن كلثوم في ذلك :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي رَجُلٌ صَبُورٌ إِذَا مَا الْمَرْءُ لَمْ يَهْمُمْ بِصَبْرِ
وَأَتَّى بِالذَّنَائِبِ يَوْمَ خَوْ مَنَنْتُ عَلَى حُذَيْفَةَ بَعْدَ أَسْرِ
وَلَوْ غَيْرِي يَجِيءُ بِهِ أَسِيرًا لَنَالَ بِهِ رَغِيبةً ذُخْرَ دَهْرٍ
وَلَكِنِّي مَنَنْتُ وَكَانَ أَهْلًا لَمَّا أُولِيْتُ فِي حَمَلِ بْنِ بَدْرِ ^(٣)

ومن أطلق سراحهم بدون فداء جويرية بن بدر ، وبنو تغلب الذين أطلقوا سراح متمم بن نويرة في الجاهلية لإعجابهم بحديث أخيه مالك ^(٤) .

^١ - أيام العرب في الجاهلية ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

^٢ - المفضليات : المفضل الضبي ، المفضلية رقم ١١٩ .

^٣ - ديوان عمرو بن كلثوم ، ص ٣٥ . الذنائب : موضع بنجد في ديار ربيعة . خو : واد واسع .

الرغبة من العطاء : أي الكثير .

^٤ - عيون الأخبار : ابن قتيبة ٤ / ٣٢ .

كما افتخرت الخنساء بأخيها صخر لإطلاقه سراح الأسرى في قولها ^(١) :
وَمَنْ لِكُرْبَةِ عَانٍ فِي الْوِثَاقِ وَمَنْ يُعْطِي الْجَزِيلَ عَلَى عُسْرِ وَمَيْسُورٍ
وكذلك في قولها ^(٢) :

وَرُبُّ نَعْمَى مِنْكَ أَنْعَمَتْهَا عَلَى غُنَاةٍ غُلَّتِي فِي الْإِسَارِ
وأيضاً في قولها ^(٣) :

رَدَّادُ عَارِيَةٍ فَكَأَنَّكَ عَانِيَةٌ كَضِيغٍ بِاسِلٍ لِلْقَرْنِ هَصَّارٍ
جَوَّابُ أَوْدِيَةٍ حَمَالُ أَلْوِيَةٍ سَمَحُ الْيَدَيْنِ جَوَّادٌ غَيْرُ مِقْتَارٍ
نَحَّارُ رَاغِيَةٍ مِلْجَاءُ طَاغِيَةٍ فَكَأَنَّكَ عَانِيَةٌ لِلْعَظْمِ جَبَّارٍ

كما اعتز لبيد بن ربيعة بإطلاق سرح الأسرى ليكونوا أحراراً وتلك
صفة حميدة يعتز بها العربي ويفخر ^(٤) :

وَعَانٍ فَكَكْنَاهُ بِغَيْرِ سِوَاهِهِ فَأَصْبَحَ يَمْشِي فِي الْمَحَلَّةِ جَاذِلًا
وحسان بن ثابت يفخر بفك الأسرى بلا ثمن فيقول ^(٥) :
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلا ثَمَنِ وَجَزَّ نَاصِيَةً كُنَّا مَوَالِيهَا
دور الشعراء في إطلاق سراح الأسرى :

وقد أسهم الكثير من الشعراء لما لمكانتهم ومراكزهم وشعرهم في
الشفاعة لدى الأسرى لإطلاق سراح الأسرى ، حيث طلب بشر بن أبي حازم
النعمة من آسره أوس بن حارثة ^(٦) ، وقد استخدم عبيد بن الأبرص نفوذه في

^١ - شرح ديوان الخنساء ، ص ٣٧ .

^٢ - المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

^٣ - المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

^٤ - ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٥١ .

^٥ - النقائض : أبو عبيدة ٢ / ١٧٤ .

^٦ - أيام العرب في الجاهلية ، ص ٢٠٠ .

استعطاف الملك حجر لإطلاق سراح قومه ^(١) ، وقد تم إطلاق سراح الأعشى بشفاعة شريح بن السموأل ^(٢) .

وتشفع علقمة بن عبده لقومه عند الحارث بن أبي شمر الغساني ، ويقول علقمة في فكه أخاه شأساً مدافعاً عنه وعن رهطه ومفاخره بشعره حيث استطاع أن يدفع عنهم بهذا الشعر لما عزّ الفداء وامتنع حتى بالمال :

دَافَعْتُ عَنْهُ بِشِعْرِي إِذْ كَانَ لِقَوْمِي فِي الْفِدَاءِ جَحَدٌ
فَكَانَ فِيهِ مَا أَتَاكَ وَفِي تَسْعِينَ أُسْرَى مُقَرَّنِينَ صَفَدٌ ^(٣)

فقد تم إطلاق شأس وتسعين أسيراً من بني تميم بسبب شعره .

كما كان لحاتم الطائي نفوذ كبير في إطلاق سراح الأسرى ^(٤) .

وكان الشعراء يجازون الأسرى على إطلاق سراح الأسرى بالمدح لما يحيط بالأسير من أمر عظيم ، فقد مدح عمرو بن كلثوم أسرته يزيد بن عمرو من بني سحيم من آل حنيفة ؛ لأنه أحسن إليه ^(٥) وأطلق سراحه بغير فدية فقال :

أَلَا أَبْلَغُ بَنِي جُشَمَ بْنَ بَكْرِ وَتَغْلِبَ كُلُّهَا نَبَأُ جُلَالَا
بَأَنَّ الْمَاجِدَ الْبَطْلَ ابْنَ عَمْرٍو غَدَاةَ نَطَاعٍ قَدْ صَدَّقَ الْقِتَالَا
كَتَيْبَتُهُ مُلْمَلَمَةٌ رَدَاخٌ إِذَا يَرْمُونَهَا تُبْنِي النَّبَالَا
جَزَى اللَّهُ الْأَغْرَّ يَزِيدَ خَيْرًا وَلَقَاءَهُ الْمَسْرَةَ وَالْجَمَالَا

^١ - ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

^٢ - ديوان الأعشى ، ص ٢٢٩ .

^٣ - ديوان علقمة بن عبده ، ص ٣١ . جحد : الجحد : قلة الشيء ونذرتة . مقرونين :

مغلوبين .

^٤ - ديوان حاتم الطائي ، ص ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ .

^٥ - ديوان عمرو بن كلثوم ، ص ٣٨ .

ومائله المثقب العبدى في مدحه خالد بن الحارث الذي توسط في إطلاق سراح شأس بن فهار (الممزق العبدى) ^(١) .

وأثنى الصمة الجشمي على عمرو بن كلثوم لأنه عليه بإطلاق سراحه ، وشكر النابغة الذبياني النعمان بن وائل بن الجلاح الذي أطلق سراح (عذب) ابنة النابغة مع سبي غطفان وأسراهم ^(٢) ، ومدح سلامة بن جندل صعصعة بن محمود بن عمرو بن مرثد لإطلاق سراح أخيه أهر بن جندل ^(٣) ، ولم ينس الأعشى أن يمدح هوزة بن علي الحنفي لإطلاق سراح الأسرى ^(٤) وأفاض بالشكر ربعة بن مقروم في مدح مسعود بن سالم الذي خلصه من الأسر ^(٥) ، ووفادة معقل بن خويلد على النجاشي في أسرى كانوا من قومه فوهبه إياهم ^(٦) .

وكان الشعراء يجازون الأسرى على إطلاق سراحهم ، يُذكر أن أبا الطحمان القيني كان أسيراً في يد بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، فمدحه بهذه القصيدة فأطلقه ^(٧) :

إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَبِيلَةٌ وَأَصْبِرُ يَوْمًا لَا تُوَارَى مَوَاكِبُهُ ^(٨)
فَإِنَّ بَنِي لَأَمٍ بَنِي عَمْرِو أَرْوَمَةٌ عَلَتْ فَوْقَ صَعْبٍ لَا تَنَالُ مَرَاقِبُهُ ^(٩)

^١ - ديوان المثقب العبدى ، ص ٣ - ٤ .

^٢ - ديوان النابغة الذبياني ، ص ٩١ .

^٣ - ديوان سلامة بن جندل ، ص ٢٠٤ .

^٤ - ديوان الأعشى ، ص ٥٩ - ١٦١ .

^٥ - ديوان ربعة بن مكدم ، ص ١٩ - ٢٠ .

^٦ - ديوان الهذليين ٣ / ٦٨ - ٦٩ .

^٧ - الأغاني : الأصفهاني ١٣ / ١١ - ١٢ .

^٨ - يوماً : يعني به الوقفات والحروب . تواري : تستر .

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَابِقَهُ^(٢)
لَهُمْ مَجْلِسٌ لَا يُحْصَرُونَ عَنِ النَّدَى إِذَا مَطْلَبُ الْمَعْرُوفِ أَجْدَبَ رَاكِبَهُ^(٣)

اتخذ الشاعر من مدح أسره منفذاً للتعبير عن الذات في صراعها مع حياته المضطربة في الأسر وهياً منه منطلقاً نفسياً ملائماً للدخول في تفاصيل غرض المدح الذي يعالج فيه فك قيده وإطلاق سراحه ، ذلك المطلب الذي ينشده الشاعر من أسره ، ونتلمس من خلال مدحه قدرة الإبداع لديه وهو ما يميز التجربة الإنسانية وموقعها من حياته فهو يرسم ملامح رائعة لآسره وكشف عن أصالته وكرمه ، ورفعة حسبه ونسبه ، وقد سعى للوصول إلى هدف معين ألا وهو إطلاق سراحه وفي النهاية حقق مناله .

غربة الأسير النفسية :

ويجدر بنا أن نعرض تجربتين عميقتين مفعمتين بالألم واليأس ممتزجتين بأدق الحالات النفسية الناتجة المتألمة التي يعاني منها الأسير ، التجربة الأولى تجربة قيس بن عيزارة ، والثانية تجربة عبد يغوث بن صلاءة الحارثي ، حيث ينقل لنا قيس بن عيزارة تجربة أسره لدى (فهم) وقد أخذ سلاحه تأبط شراً ، فالشاعر إلى جانب غربته عن الحمى والأهل يعيش غربة نفسية مؤلمة ، مفعمة بالخوف ، يتلاشى عنده الأمل في لحظات استراق السمع لما يتناجى به آسروه باتفاقهم على قتله مجازاة لما أسرف الأسير في سفك دمائهم ومبالغته في هجاء أعراض عشيرتهم ، وينقل لنا الشاعر لحظات قلقه في حياة الأسر ، بيد أنهم سكنوا وهدأوا بعد أن قرر أن يمنحهم أمواله ويخلوا سبيله ، مثلهم مثل البقر التي لا قرون لها ، سكنت

^١ - الأرومة : الأصل . المراقب : جمع مرقبة وهي النظرة في رأس الجبل .

^٢ - الجزع : ضرب من الخرز ، وقيل هو الخرز اليماني .

^٣ - لا يحصرون : لا يخلون ، حصر الرجل : بخل .

نفسها وطابت في المراتع ، وكانوا قد طمعوا بناقته (البلهاء) مع إبل معها ، غير أن امرأة تأبط شراً قد أشارت عليهم بقتله وحز لسانه ، على أن زوجها قد حمل غيره على قتل قيس بعدما سلبه .

ويتألم قيس بن عيزارة ، ويدعو على نفسه لأنه لا يقوى على قتل تأبط شراً لأنه تقلد سيفه ، وراح يحجره على الحصى فحوفر من الجر ، وينتقل قيس إلى الزمن الآتي ومكان لاحق متأملاً مصيره حيث تسوقه الضبع لضعفه وهزاله ، طامعة في أكله ، متصوراً أن نساء (فهم) يبيكينه ، فيرفض ذلك وإنما يبكي عليه أهله ، ويحن إلى موطنه ، ويدعو له بالسقيا ، حيث ربط الماضي بالمستقبل ، فقد افتتح قصيدته بموضع ماء (أقتد) ، وانتهى بالسحاب الماطر في الربيع ، مما يؤكد لنا أن الأسير يغذي عقولنا بتجربته العميقة التي تجسم الموقف الرهيب الذي يعاينه وكأنه أشبه شيء بآخر لقطة تصويرية في مشهد حي من مشاهد الحياة ، ويترك أثراً واضحاً في نفوسنا وتظل المرأة هاجس الشاعر برمزيتها الخير والشرير ، يتمثل الأول بزوجه الحنون ، والثاني بزوج تأبط شراً التي أشارت بقتله وحز لسانه ، ويوضح لنا الشاعر موقفين متضادين هما قوته وضعفه ، بطولته في صولاته ، وآسره إذ لا حول له ولا طول ، بين تقلده لسيفه ، وبين تجريده منه وجره على الحصى ، وبين موته على أرض قومه وموته غريباً في بطن الضبع فيقول :

لَعْمَرُكَ أَنْسَى رَوْعِي يَوْمَ أَقْتَدِ	وَهَلْ تَتْرُكَنَ نَفْسَ الْأَسِيرِ الرَّوَائِعِ
غَدَاةَ تَنَاجَوْا ثُمَّ قَامُوا فَاجْتَمَعُوا	بِقَتْلِي سُلْكَى لَيْسَ فِيهَا تَنَازُعُ
تَقُولُ اقْتُلُوا قَيْسًا وَحَزُّوا لِسَانَهُ	بِحَسْبِهِمْ أَنْ يَقْطَعَ الرَّأْسَ قَاطِعُ
وَيَأْمُرُ بِي شَعْلٌ لِأَقْتُلَ مُقْتَلًا	فَقُلْتُ لِشَعْلٍ بَسْمًا أَنْتَ شَافِعُ

سَرَا ثَابِتٌ بَزَيٍّ ذَمِيمًا وَلَمْ أَكُنْ سَلَلْتُ عَلَيْهِ شَلٌّ مَنِّي الْأَصَابِعُ^(١)

ويتضح لنا أن شعر الأسير يزخر بالعواطف الصادقة التي تصدر عن نفس متألمة ويظهر حزنه وألمه واضحين في بكائه ، فقد أجاد الشاعر الأسير في التعبير عن معاناته إجابة ملموسة ، مصوراً حالته وواقعه ويعبر عما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس .

ولم أجد نفثة حرة ونفساً يتردد الألم فيه ، وصوراً تضح بالأحزان ، وقلباً انصهرت فيه وتكشفت مثل ما أرى في قصيدة عبد يغوث بن صلاء الحارثي بعد غربة قاسية ، أراد أن يموت - وهو سيد قومه - ميتة تبتعد عن السوق والذل بعد أن وجد ألا مفر من ذلك القضاء الذي لا مرد له ، وقد ذاق مرارة الموت بدلاً من النعمان بن جساس قتيل أسريه ، وقد شد لسانه خوف الهجاء وسقي الخمر ، وقطع له عرق الأكحل ، فترف حتى فارق الحياة ، وقد ترك لنا الشاعر قصيدته المراثية الرائعة التي عبرت عن أشد حالات الغربة وهو على أعتاب مغادرة الحياة إلى الأبد .

ومنذ البدء يحن الشاعر لبلاده عبر ذكره المواضع وهو مفارقها ، حيث يغلق حياته الحاضرة حمام لا يستطيع دفعه ، وتنداعى الأفكار والذكريات في مخيلته ، إذ كان بإمكانه أن ينجو ، بيد أن شأله قد منعه لأنه حام للذمار ، وتتصاعد وتائر الغربة عنده ، وتتفاقم الآلام النفسية حين تسخر منه امرأة عبثية لوقوعه في أسر شاب مختل التوازن ، ويمضي الشاعر في قصيدته يعدد أفعاله ، وتشتد الغربة ، وتلتف دائرتها عليه ، وكل شيء كان يشده للماضي إلى

^١ - ديوان الهذليين ٣ / ٧٦ - ٨٠ . شعل : لقب تأبط شراً . سري بزي : سلبه .

اقتد : ماء .

سلكى : ليس فيه اختلاف .

الوطن والأهل ، فتجسدت غربة الأفعال ، فلا ممارسة لرجولته في خوض المعارك ، ولا نحر للجزور ، ولا شراب ولا مجالس للسمر ، ولا أيسار ، ولا يطرق أسماعه نشيد الرعاة ، فانطلقت نفسه على سجيته بالرغم من القلق والتوتر الشديدين لتصوير ذلك في لوحة تتنازع الذكريات ويتعذب في حينه ، ويتلوى من فيض أشواقه ، ونزيف الأكحل ينهي غربته في الأسر ليغترب ثانية في الموت ليستقر غريباً في الزمان والمكان ، فيقول ^(١) :

فيا راكباً إمّا عَرَضَتْ فَبَلَّغَنْ	نداماي من نَجْرانَ أن لا تَلَقِيا
أبا كَرَبٍ وَالْأَيَّهَمِينَ كِلَيْهِمَا	وَقَيْساً بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيا
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ	أَمْعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَقُوا عَنْ لِسَانِيا
أَحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعاً	نَشِيدَ الرُّعَاءِ الْمُعْزِينَ الْمُتَالِيا
وَتَضَحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَيْشَمِيَّةٌ	كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسيراً يَمَانِيا
كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً وَلَمْ أَقُلْ	لِخَيْلِي كُرِّي نَفْسِي عَنْ رِجَالِيا
وَلَمْ أَسْبَأِ الرِّقَّ الرَوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ	لَأَيْسَارٍ صَدِيقٍ أَعْظَمُوا ضَوْءَ نارِيا

إن قصيدة عبد يغوث تدعو إلى الإحساس بالألم من شدة اليأس الذي تسرب إلى الشاعر ، والضيق النفسي المنبثق من استخدام الألفاظ التي تعبر عن الصوت العالي الذي يطغى على كل شيء يدور حوله في وضوح الجرس الصوتي ، فالأصوات تصدح من الركوب والتبليغ والقول وحركة شد اللسان والطلب بإطلاقه ، إلى حرمانه من عدم سماع نشيد الرعاة إلى صوت ضحك الشبيخة العيشمية وكل هذا يلح عليه لما في ذلك من رثاء للفروسية والسيادة والحياة بشكل عام ، على أن شد اللسان لم يكن حقيقة وإنما الغرض منه منع الشاعر بأية

^١ - المفضليات : المفضل الضبي ، المفضلية رقم ٣٠ .

وسيلة كي لا يطلقه في الهجاء ويظهر أن استخدامه البحر الطويل يستوعب غربي النفس والمكان لدى الشاعر وكشف معاناة المرة في رثائه لذاته ، كما أضاف طابعاً مأساوياً من خلال الأداء الموسيقي ، فالموسيقا الحزينة تطفئ على القصيدة ، وتجعلنا نتعاطف مع الشاعر وتؤثر لحالته النفسية وكأن القصيدة بصخبها تنادي لإنقاذه وتخليصه من الأسر .

ومن خلال استقراءنا للنصوص نجد أن الأسر يتبعه ذل الاغتراب القسري عن حمى العشيرة ومرايعها لتتعدد الغربة ، غربة المكان وغربة النفس وهي غربة مادية ومعنوية ، وقد صور لنا السليك بن السلكة غربة صرد رجل من بني حرام صحبة السليك وأسرهم قوم من مراد وخثعم ، فبكى صرد لوقوعه أسيراً متألاً لابتعاده عن (بلاد) مقاعس كما يسميها ، وقد استنقذه السليك فيقول^(١) :

بكى صُرْدٌ لَمَّا رَأَى الْحَيَّ أَعْرَضَتْ مَهَامُهُ رَمَلِ دُونَهُمْ وَسُهُوبُ
وُخُوفُهُ رَيْبِ الزَّمَانِ وَقَفَرُهُ بِلَادَ عَدُوٍّ حَاضِرٍ وَجَدُوبُ
وَنَائِيٍّ بَعِيدٍ عَنِ بِلَادِ مُقَاعَسٍ وَإِنَّ مَخَارِيقَ الْأُمُورِ تُرِيبُ

إن القلق الذي يمر به الإنسان يفسد أمره حتى أن الأمل ليضيق ويصبح كخرم الإبرة ويتسرب ملل الانتظار في الخلاص من الأسر إلى النفوس ، ويصبح حال المرء مثل الناقة الغريبة التي حلت بأرض مجهولة تتخبط فيها ، تخشى من الموت ، تطلب الآبار ولا تهتدي إلى المسالك المؤدية إليها .

هذا الاضطراب وهذا القلق كفيلاً بأن يفقد الإنسان سيطرته ، ونجد ذلك في مقطوعة الأعشى الذي صحب ممدوحه في بعض غاراته بمكان اسمه

^١ - السليك بن السلكة ، أحباره وشعره : حميد ثويني ، وكامل سعيد عواد ، ص ٤٤ - ٤٥ .

(لعل) وتعرض للوقوع في الأسر حتى أنقذ مع صحبه بدخول المدوح عليهم

(قيس بن معد يكرب) آخر الليل فعظموه وشكروه ، فيقول :

فَأَنِّي وَجَدْتُكَ لَوْلَا تَجِيءُ لَقَدْ قَلِقَ الْحُرْتُ أَنْ لَا أَنْتَظَرَا
فِيَا لَيْلَةً لِي فِي لَعَلِّ كَطُوفِ الْقَرِيبِ يَخَافُ الْإِسَارَا
فَلَمَّا أَتَانَا بُعِيدَ الْكَرَى سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا عَمَارَا^(١)

إن الضعف والقوة ، والقلق والراحة ، والخوف والأمان ، والضياع والاهتداء ، والانتظار واللقاء ، والأمل واليأس ، وغربة الزمان والمكان وعدمهما كلها تتجسد عند الأسير في لحظات حاسمة ، بيد أن الضعف يتلاشى أمام القوة ، والخوف يضمحل بحلول الأمان ، والاهتداء يحل محل الضياع بحضور المدوح رمز القوة لينقذ الجماعة من أسر محقق ، ومن هنا نجد مدح الأعشى لقيس حيث وجده معادلاً لذلك بتطويعه الحالة النفسية ، ومدلول الكلمات التي استخدمها في النص عبر حالات الأمل والانتظار القاتل والضياع ، والتغريب في المكان والزمان .

أ. سعدية حسين البرغثي

كلية التربية - جامعة قاريونس - بنغازي

محمول : ٠٩٢٥٣٢٨٠٢٦

^١ - ديوان الأعشى ، ص ١٠١ .

قلق الحزن : أفسد الأمور وتسبب في إخفاقها .

المصادر والمراجع :

١. أساس البلاغة الزمخشري : جاز الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) - دار صادر - بيروت - ١٩٧٩ .
٢. الأصمعيات : أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي . تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون - دار المعارف بمصر - ١٩٥٥ م .
٣. الأعشى الكبير ميمون بن قيس - ديوانه - تحقيق د. محمد حسين - المطبعة النموذجية ١٩٥٠ م .
٤. الأغاني - أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني . شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عبد أ. علي مهنا - دار الكتب العلمية بيروت لبنان - الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
٥. الاغتراب في الشعر العربي قبل الإسلام د. صاحب خليل إبراهيم - مركز عبادي للدراسات والنشر - صنعاء - الجمهورية اليمنية - الطبعة الثانية - ٢٠٠٣ م .
٦. امرؤ القيس - ديوانه - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م .
٧. أيام العرب في الجاهلية : محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبوعات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - مصر ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م .
٨. تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد ، تحقيق عبد السلام هارون - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر - الدار المصرية العامة

للتأليف والأبناء والنشر - الدار المصرية للتأليف والترجمة دار القومية العربية للطباعة - القاهرة ١٩٦٤ .

٩. الجامع الصحيح : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري - منشورات المكتب التجاري - بيروت (د. ت) .

١٠. جهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام - أبو زيد القرشي (ت ق ٥ هـ) تحقيق : علي محمد الجاوي - دار فضاء مصر للطبع والنشر ط ١ - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

١١. حاتم عبد الله الطائي - ديوانه - تحقيق كرنكو - مطبعة بريل ليدن ١٩٢٠ م .

١٢. الخطيئة : جرول بن أوس - ديوانه - تحقيق نعمان أمين طه - بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني - مطبعة مصطفى الحلبي بمصر - الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .

١٣. الحماسة : البحتري : أبو عبادة الوليد بن عبيد - اعتنى بضبطه الأب لويس شيخو اليسوعي - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

١٤. الحياة العربية من الشعر الجاهلي - د. أحمد محمد الحوفي - دار القلم ط ٤ - بيروت ١٩٦٢ م .

١٥. الحنساء : شرح ديوان - دار التراث بيروت - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م . الشركة اللبنانية للكتاب .

١٦. ربعة بن مقروم الضبي - ديوانه - صناعة د. نوري حمودي القيسي - مطبعة الحكومة - بغداد - ١٩٦٧ م .

١٧. زيد الخيل الطائي - ديوانه - صنعة د. نوري حمودي القيسي -
مطبعة النعمان - النجف الأشرف ١٩٦٨ م .
١٨. سلامة بن جندل - ديوانه - تحقيق د. فخر الدين قباوة -
الطبعة الأولى - حلب ١٩٦٨ م .
١٩. السليك بن السلكة - ديوانه - دراسة وجمع وتحقيق حميد آدم
ثوبي وكامل سعيد عواد - مطبعة العاني - الطبعة الأولى - بغداد -
١٩٨٤ م .
٢٠. الشعر والشعراء : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري - ابن
قتيبة (ت ٢٧٦هـ) مطبعة الثقافة - بيروت لبنان الطبعة ٢ -
١٩٦٩ م .
٢١. شعراء النصرانية قبل الإسلام : لويس شيخو اليسوعي - الطبعة
الثانية - دار المشرق - بيروت ١٩٦٧ م .
٢٢. طرفة بن العبد - ديوانه - تحقيق : مكس سلفسون - مطبعة
برطرنند ١٩٠٠ م .
٢٣. طفيل الغنوي - ديوانه - تحقيق محمد عبد القادر أحمد - مطبعة
معتوق أخوان - بيروت ١٩٦٨ م .
٢٤. عامر بن الطفيل - ديوانه - رواية أبي بكر الأنباري عن أبي
العباس أحمد بن يحيى ثعلب - دار صادر - بيروت - كرم البستاني
١٩٦٣ م .
٢٥. عبيد بن الأبرص - ديوانه - دار صادر - بيروت - لبنان
١٩٦٤ م .

٢٦. عروة بن الورد - ديوانه - شرح ابن السكيت - تحقيق عبد المعين الملوحي - مطابع وزارة الثقافة - دمشق ١٩٦٦ م .
٢٧. العقد الفريد : ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي - شرح أحمد أمين ، أحمد الزيب ، إبراهيم الأبياري - دار الأندلس للطباعة - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٧ م .
٢٨. علقمة بن عبيدة الفحل - ديوانه - تحقيق لطفي الصقال ودريّة الخطيب - مطبعة الأصيل ط ١ حلب ١٩٦٩ م .
٢٩. عمرو بن كلثوم - ديوانه - دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٦ م .
٣٠. عنتر بن شداد - ديوانه - تحقيق فوزي عطوي - الشركة اللبنانية للكتاب والطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٦٨ م .
٣١. عيون الأخبار - ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣ م .
٣٢. الفروسية في الشعر الجاهلي :: د. نوري حمودي القيسي مطابع دار التضامن ، ط ١ بغداد - ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .
٣٣. القيان والغناء في العصر الجاهلي - ناصر الدين الأسد - دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ١٩٦٨ م .
٣٤. قيس بن الخطيم - ديوانه - تحقيق ناصر الدين الأسد - دار صادر - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٦٧ م .

٣٥. الكامل في التاريخ : ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ —) بيروت
١٩٦٦ م .
٣٦. لبيد بن ربيعة - ديوانه - تحقيق إحسان عباس - ط الكويت
١٩٩٢ .
٣٧. لسان العرب - ابن منظور (ت ٧١١هـ —) دار صادر -
بيروت للطباعة والنشر - أعاد تصنيفه على الكلمة والحرف - يوسف
خياط ونديم مرعشلي - بيروت ١٩٥٦ م .
٣٨. لقيط بن يعمر الأيادي - ديوانه - تحقيق خليل إبراهيم العطية
- مطبعة الجمهورية - بغداد ١٩٧٠ م .
٣٩. المتلمس الضبعي - ديوانه - تحقيق حسن كامل الصيرفي -
مطبعة الشركة المصرية - القاهرة ١٩٦٨ م .
٤٠. المحاسن والأضداد - المنسوب للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) مطبعو
بريل - ليدن ١٨٩٨ م .
٤١. المثقب العبدى - ديوانه : تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين
- مطبعة المعارف - بغداد ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦ م .
٤٢. المرأة في الشعر الجاهلي : د. أحمد محمد الحوفي - مطبعة المدني -
دار الفكر العربي ط ٢ (د. ت) .
٤٣. مطالع البدور في منازل السرور - الغرولي علاء الدين علي بن
عبد الله البهائي ، مطبعة إدارة الوطن ط ١ - ١٢٩٩هـ .
٤٤. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي طبعه دار
العلم للملايين ط ١ بيروت ١٩٧١ م - نسخة أخرى ط ٢ .

٤٥. المفضليات : المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر عبد السلام
هارون - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣ م .
٤٦. النابغة الذبياني - ديوانه - صنعه ابن السكيت - تحقيق شكري
فيصل ١٩٦٨ م .
٤٧. النقائض بين جرير والفرزدق : أبو عبيده معمر بن المثنى التميمي
(ت ٢٠٩هـ) وقف على طبعها وتصميمها فخر إسماعيل عبد الله
الصاوي بمصر ١٩٣٥ م .
٤٨. الهذليين : الديوان - تحقيق أحمد الزين ، نسخة مصورة عن
مطبعة دار الكتب - نشر الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة
١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م .